يورغوس سكورتيس

الصراع

الشخصيات

- الأب
- الأم
- الابن

(يجلس الأب فى مقعده ، يدخن بعصبية .. تأتى الأم من الغرفة الداخلية وقد بدا عليها الحزن الشديد ... وهى من النوع المطواع سلس القياد من النساء .. تحدق فى الأب) .

الأب : ماذا يفعل ؟ . . .

الأم : يجهز حقيبته (برهة صمت .. يستدير الأب فى جلسته جانبا) ألن تقول له شيئا ؟ .

الأب : ماعاد عندى ماأقوله له . . ولاتنزعجى . . . سوف يعود . .

الابـــــن : (ما ان يدخل ، ولعله يبحث عن شئ) لن أعود ، يا أبى .

الأب : (لايكلمه . يشيح بوجهه عنه غاضبا) .

الأم : هل تبحث عن شئ ؟ .

الابـــــن : عن بعض الأوراق . .

الأب : يبحث عن حثالاته .

الأم : دعك الآن من هذا ! مـا حدث حـدث . . لايجب أن . . . نفترق متخاصمين . (تحبس دموعها)

الأب : متخاصمين؟ . . هاه . . لاياشيخة ! وما الجدوى من أن أتشاجـر معه فـضلاً عن ذلك مثل هذه الأمـور تحدث . . . نحن معتادون عليها ! نعرفها جيدا ، ونتوقعها ! ثم لا نلبث أن نغتفرها !

الابـــــن : ما الذى تغتفرونه ! . . . صراع الطبقات ؟ .

الأب : (غاضبا) هاه . . تفضلى ! نفس الكلمـات على لسانه دائما ! يلوك الدرس المعتاد !

الابـــــن : وأنتم تفعلون المثل أيضا .

الأب : صراع الطبقات ! هاه . . لم يخـرج بعد من البيضة ، ويعـرف هـو أيضـا صراع الطبـقات ، هاه . يا أيـها المسكـين ! أخـرج أولا إلى الحـيـاة ، وأدخل فى صراعاتها ثم تعال حدثنا عن صراع الطبقات .

الابـــــن : (يواصل الكلام ، وهو منصرف إلى البحث بفتور) العديد من السنين أتصارع . . أتصارع معك أنت .

الأب : (منفعلا) هل تسمعينه ؟ يتصارع معى . هذا ما يقوله . ومن يكون هذا الذى يتصارع معى ؟ ابنى ! ابنى أنا ثم تلقين اللوم على . هيه ؟

الأم : اخفض صوتك ، لاتصح !

الأب : هل أنا الملوم فى شئ ، إذن ؟

الابـــــن : ملوم أنت مادمت تؤيد وتشجع بالقوة نظاما اجتماعياً جائراً وغير إنسانى .

الأب : هاه ، حسنا ، إذن ! هذا النظام هو الذى جعل منك ابنا لمدير مصنع به ألف عامل ، وليس إبنا لواحد من هؤلاء الألف ! ويتيح لك هذا النظام الآن أن تقول «إنى أرحل» وتستطيع أن ترحل . لأنك لوكنت إبنا لواحد من أولئك الذين تدافع عنهم ، لما استطعت أن تتسكع هنا وهناك ! كنت ستعمل مثل كلب ! أم أنك تعتقد أنهم فى ظل أنظمة أخرى كانوا سيسمحون لك بالحركة والتنقل كما تشاء . هاه ! أيها الولد الطائش . . سوف كانوا يذهبون بك إلى منفى بعيد !

(يعود الابن إلى الغرفة الداخلية)

الأم : أرجوك ، ياخريستو ، . إهدأ قليلا ! تمالك أعصابك . !

الأب : إنى متمالك لأعصابى ، يا أمرأة . متمالك لاعصابى لأنى رجل هادئ . وأنا هادئ لأن ضميرى مرتاح . لست الملوم ، بل هو . أنا السيد فى هذا البيت ، ومن اختلف مع السيد ، يجب أن يرحل !

الابــــــن : (يدخل) أهذه هي الاخلاق التي علمها لك القساوسة ؟

الأب : كفاك تجديفا !

الأم : لاتتحدث إليه هكذا ، يا بني . أنه أبوك !

الابــــــن : وماذا يعنى هذا ، إلهى هو ؟ وأنا الخاطئ الذى قضم قضمة من تفاحة المعرفة ! كفى ، يا أماه .. كفى ، يا أماه (ينصرف إلى الداخل) .

الأب : (يواسيها ، وقد طفرت الدموع من عينيها) لاتبكى .. صدقينى إذ أقول لك : إنه عاجلا أو آجلا سيعود ، وسأصفح عنه انا ..

الابــــــن : (من الداخل ، مشاغبا) هاه ! وددت أن أعرف ماذا ستفعلون عندما لن يصبح لكم فرصة الصفح والغفران ، ستتهاوون إذن مثل قلعة من ورق !

الأب : سيكون بإمكاننا على الدوام أن نصفح .. ! دهورا الآن بامكاننا ذلك ، وسيظل الحال على هذا المنوال طويلا ! أجل ! ونحن نصفح عنكم لأنكم لازلتم تنقصكم المعرفة . سيأتى يوما تقول فيه بدورك « كنت أنا بدورى مارقا » سيروق لك أن تتذكر ذلك . ولكن سيروق لك أكثر أنك ما عدت كذلك . ذكرى ، مثل كل الذكريات الأخرى ، ستدخل الراحة إلى معدتك الممتلئة ! ولكن كى تقول ذلك أنت بحاجة أولا إلى غفراننا ! ونحن نعرف كيف نغفر .

الابــــــن : (من الداخل) طوبى للنادمين المستغفرين ، هيه ؟ يالك من رجل ظريف .

الأب : إخرس !

الابـــــــن : (يأتى إلى الباب الموارب) عنـدما أعطيك فـرصة أن تصفح عنى ، عنـدئـذ فـحسب يمكنـك أن تـأمـرنى . أما فى الوقت الحاضر فاحتفظ بأوامرك لزوجتك وللعاملين فى خـدمـتك ! . . إلى أن يمكنهم بدورهم أن يسـدوا فمك ، حتى تستريح !

(ينصرف)

الأم : بيترو!

الأب : (تتفجر اعصابه) أتسمعين هذا الولد قليل الأدب ، هيه ؟ يدعو من أجل خرابى! يدعو من أجل موت أبيه! من؟ ابنى أنا ، ابنى !

الأم : (متعاطفه معه) لاترهق أعـصابك ، إلى هذا الحـد ! لاتحمل الأمـور أكثر مما تحتـمل ! أنه يقول هذا الكلام فحسب ، لكنه لايصدق ما يقول . أنه يحبك . بيترو يحبك . لازال ولدا صغيرا .

الأب : أجل . لازال ولدا صـغـيـرا . . خـرج فى مظاهرة . سامـحناه . خرج فى مظاهـرة أخرى قبلنا الأمـر على مضض . قبضت عليه الشـرطه،عملوا اعتبارا لاسمى ، أفرجـوا عنه . انضم إلى منظمة ، قلنـا « معلهش» . انضم إلى منظمـة أخرى قلنا لازال صـغيـرا . أضحى خارجا على النظام ، قلنا إنه ولد صـغير . ولكن إلى متى ؟ لايستطيع هذا الـفتـى أن يمضى يسب رفـاقى ومعاونى . إنه على أى حال ابنى ! ابـن المـدير ! هـذا

أمر غير مقبول ! غيرمسموح لى أن أتركه يفعل ذلك ! تجاوز كل الحدود ! لا أستطيع أن أتركه يزلزل الأرض من تحت قدمى . إنى ملتزم ! طفح بى الكيل ! شقينا جميعا من أجل هذا البلد!ضحينا بشبابنا وبذلنا دماءنا! فى سبيل هذا البلد ، الذى لا يمكننا أن نتركه تحت رحمة هذا الشباب المارق الطائش ! من واجبنا أن نهزمهم ، وأن نرديهم صرعى !

الأم : خل عنك ذلك ! هيا ، اسكت ، حتى لايسمعك !

الأب : وماذا لوسمعنى ، يعنى ؟

الأم : دعه .. ليس من اللائق أن تتبادلا مثل هذا الكلام المرير . سوف تندمان !

الأب : أعرف ذلك ! أعرف أنى سأندم ، ولكن ذلك سوف يكون من أجل مصلحته . من أجل مصلحة الجميع ! (يصبح موجها خطابه إلى الداخل) من أجل من شقيت أنا ! من أجل من حاربت ! من أجله هو !

الابـــن : (قادما) خطأ ! فى مجتمع الأنانية هذا الذى وصلتم إليه، لا أحد يشقى من أجل غيره ، قاتلاً أو مقتولا كنت ، فمن أجل نفسك . كل يهمه نفسه فحسب .

الأب : كلا ، يا سيد . كلا ! لنا قيم تربط بيننا ! لنا مبادئ توحد بيننا ! نحن أسرة واحدة !

الابـــن : (بسخرية) أسرة .. هاه .

الأب : (إلى الأم) قولى له أن يكف عن ذلك ! قولى له أن يسكت !

الأم : هيا ، يابنى . . أتوسل إليك .

الابـــــن : هيه، يا أماه، جعلت من نفسك جارية له عمرك كله .

الأب : أمك ، سيدة بارة !

الأم : كفا عن ذلك !

الابـــــن : طبيعى أن يجد السيد أتباعا بررة يسبحون بحمده .

الأم : اسكت .

الأب : الخطأ خطأه هو !

الابـــــن : منذ متى كففت عن أن تحب أمى ؟

الأم : أنا لا أسمح لك !

الابـــــن : تلعب فى مكتبـك مع الصبايا وتأتى إلى زوجـتك أخر النهار فاترا ، مدعيا الإجهاد ، الوعكة ، وتتحدث بعد ذلك عن الأسرة . عن حياة أسرية تتحدث . . . . . .

الأم : اسكت !

الابـــــن : أتعرف مـاذا قالت لى ماريا ، الآنسة مـاريا التى تعمل طرفك بالمكتب ؟ صاحبتـها أنا بدورى . لم أتعد على ما لك من حقوق السـيادة ، على أى حال . أتعرف ، إذن ماذا قالت . . .

الأم : لاأريد أن أسمع ! .

الأب : (أسقط فى يده من فرط المفاجاة) لاتعمد إلى المزيد !

الابـــــن : (بغير رحمة) هذا أمر أم أنه استسلام واعتراف بالهزيمة ؟

الأب : (لا يتكلم ويحاول أن يشـعل سيجـارته مرتعشـا ... تبكى الأم . يلقى الابن عليهمـا نظرة انتظار برهة . ثم ينسـحب إلى الغرفـة الداخلية . يشـعل الأب سـيجـارته) أنه قـادر أن يقـول وأن يأتى أشـد الاقـوال

والأفعال بذاءة وقـذارة .. وذلك كي يصدمني . ابني للأسف يـحـاربنـي ! لـكـنني لن أتركــه ! وأنت ، حذاري ! لاتصدقي أي شئ قاله ! أو يزمع أن يقوله . تسلحي بالثقة! .. لاتصغي إليه ،ولاتصدقي شيئا ! .

الأم : (تبكي متشنجة) لا أريد أن أسمع شيئا ! لا أريد . كفى، كــفى ، أوقـفـوا هذه الحـرب . كـفى ! لا أريد .. لا أستطيع .. لا أستطيع !

(توشك على الإغماء يمسك بها الأب مرتعبا) .

الأب : مارغاريتا ! كلا ! أستحلفك بالله ، تماسكي ! انفضي عنك الانفـعالات العنيـفـة ! إنه يكذب .. أفيـقي ، يامارغاريتا ، أفيقي . سـيدمرنا هذا الولد تدميرا ! ..

(ينادي ابنه) أحضر قليلا من المـاء ! أمك تموت ياولد !

الابـــــــن : (يجري خارجا إليها . ويقترب منها بهدوء) أماه ، هيا اهدئي .

الأب : سوف تقضي عليها ، أيها القاتل !

الابـــــــن : قتلتها أنت منذ أمد طويل من قـبل . أجهزت عليها ، بصـفقـاتك ، ومكاسبك ، ومنافـساتك القـذرة ، مع سائر الأنذال من طغمتك الخسيسة !

الأب : أحـضر قليـلا من المـاء ، ياولد ! (يمضي الابن إلى الداخل) تعـالي ، يا حبـيـتي ، تعالي . أحـبك أكثـر من أي شـخص في الدنيا .. أنت زوجـتي ، وأنا زوجك ، حـتى الموت ! نحـن عندنا مـبـادئ . لن نتـنكر لهـا ونهدمها ، مثلهم ، ولن نتركهم يهدمونها ...

الابـــــن : (يدخل ممسكا كوبا من الماء) قضى الأمر الآن . حطمتم كل شئ ورحتم تلملمون الحطام وتلصقونه بصوالح الأنانية !

الأب : (يناول الأم جرعه من الماء) نحن نفعل ذلك ؟

الابـــــن : أجل بكذبكم ، وأخلاقياتكم المصطنعة ، وشعاراتكم المزيفة وتدينكم المخضب بالدماء . ! وثرواتكم العطنة !

الأب : (وقد أفاقت الأم) بغير مال ، لا وجود لك ! هذا أول شئ كان يجب أن تعلمه إياكم الإيديولوجية التى تتشدقون بها !

الابـــــن : لعلمك ، هذا صحيح ، ولكن المال الذى نقدره نحن ليس ذلك الذى تعنيه أنت ، وليسَ ذلك المستعبد إلى الأبد .

الأب : أنكم مضحكون . لا تستطيعون أن تعرفوا كم نحن أقوياء بثرواتنا ! إذا أوصدت الأبواب فى وجوهنا ، تسللنا من النوافذ وجعلنا منها أرحب الأبواب ، فى النهاية . أما أنتم ، فقد رحتم تتعلقون بالمعجزات . يالكم من مضحكين حقا ، ماديون واقعيون أنتم ، أو هكذا عن أنفسكم تزعمون ، ثم لا تلبثون أن تتشبثوا بأهداب المعجزات !

الابـــــن : نؤمن المعجزات التى تصنعها الأيدى التى تعمل حرة طليقة من القيود ، بلا سياط تهوى على الظهور ، ولا

مقـود تقـاد منه مثل الجـياد ! ولولم تكن ضـيق الأفق متـطرفا إلى هذا الحـد ، لكنت استطعت أن تتـبين أن المعجزة شرقا وغربا تتحقق .

الأب : (متذمرا) أنت مـجنون ! ملتو ! خـدعـتم جميعـا ! الوحيدون الذين لن يخـدعوكم هم نحن ! وذلك لأننا أنجـبناكم . نحن صنعنا هـذا العالم . نـحن علمناكم كيف تـفكرون ، وبالتالى نحن أيضـا الذين أعطيناكم الأسلحة التى تحاربوننا بها ! لكننا لن نترككم تحاربوننا إلا بالحـد الذى يحـقق مـخططاتنا . نـحن فى نظركم نضع فى أيديكم وأقدامكـم أغلالا ، ولكننا فى الواقع لن نخون أبدا أحـلامكم مثلما يفـعل الآخرون . نحن نحبكم . نحن بحاجة إليكم !

الابــــــــن : تفخم كثيرا من طبقتك ، وتعتز بانتمائك إليها .

الأب : إنهـا طبـقــتك أنت أيـضــا (إلى الأم) لاتقلقى ، يا مــارغـاريتـا . . الزمى الهـدوء . إننا نتـبـادل أطراف الحديث ، فحسب .

الابــــــــن : (يرمقه بسخرية) على أى حال ، إننى راحل .

(ينصرف إلى الغرفة الداخليـة . تضطرب الأم . كما يضطرب الأب بدوره . أضحيا الآن يواجهان خـاتمة المصير . يحوطهـا الأب بذراعه ويأخـذها فى حضنه ، وقد ثبت أنظاره على فتحة الباب الموارب)

الأم : خريستو . . ما عدت أستطيع . . سوف يرحل !

الأب : الزمى الهدوء .

الأم : أفعل شيئا .. أطلب منه أن يغفر لك .. إنه ابنك على أى حال. وليس فى أن تطلب منه ذلك ما يشين !

الأب : (يواصل التطلع إلى انفراجة الباب الموارب وقد استقر عزمه على قرار)

(يقبل الابن حاملا حقيبته . لحظات يتبادل فيها الجميع الأنظار واجمين . وفجأة ، تمضى الأم لتحتضن الابن ، إلا أن الأب يصدها عن ذلك بصرامة)

الأب : مارغاريتا !

(تتوقف الأم فى منتصف الطريق ، مرتبكة ، لا تدرى ماذا تفعل)

الابن : استبدادك ليس له حدود !

(يخطو خطوتين ، ويأخذ أمه التى تنخرط فى البكاء بين أحضانه)

لو كان باستطاعتى لأخذتك معى، وأخرجتك من هنا .

الأب : (وقد استقر عزمه على الهجوم) ولماذا لاتستطيع ؟

الأم : خريستو !

الأب : لماذا لا تستطيع . لنفترض أننى أسمح لها بالرحيل .. أين ستذهب بها .. ماذا لديك كى تعطيه لها ؟

الابن : سوف يكون بإمكانها على الأقل أن تستنشق هواء نقيا ! سوف يكون بإمكانها أن تحيا فى النهاية !

الأب : هواء ، إذن ! هذا ما لديك كى تعطيه لأمك . هواء مدقوقا ! أما هى فسوف تحيا عاملة فى مصنع أو خادمة تشتغل فى البيوت ، وذلك كى يتمكن ابنها المرفه الغندور أن يظل طالبا يتناقش فى أمور السياسة ! لأنك بالطبع قد تكون منحازا إلى الغلابة الكادحين ، ولكن ليس باستطاعتك أن تضحى تماما منهم . لاتستطيع أن تكون بدورك غلبانا كادحا ، لأنه من ذا الذى سيقيم

حـينذاك أودك ؟ من ذا الذى سـيـوفـر لك الدعم كى تثرثر بآرائك فى الهجوم على طبـقتنا ، ويساندك ماديا فى تجريحنا ؟ هيه ؟ هذا ما كان بمقدورك إذن أن تقدمه لأمك لو انك أخذتها من هنا ! قليل من الهواء النقى ، هيه ! ثم بعـد ذلك تتبجح وتسـألنى ولم لا أستطيع ؟ سوف أجيبـك أنا لمـاذا لا أستطيع . لأنك خارج هذا البيت ، لاوجود لك . لامال لك ، لاوجود لك !

الابــــــن : اطمـئن ، سوف يكون لى بـغيـرك وجود . لاتشـغل بالك سوف يـكـون لى وجود ، وأفـضل من وجودك بكثير أيضا !

الأب : أين ؟ومع من ؟ مع المفلسين ، عـميـان القلب ؟ وإلى متى ، تظن أن وجودك هذا سيـستمر ؟ هل تريدنى أن أقـول لك أنـا من جـــديد إلى مـتى ؟ إلى أن تنفـذ نقودك ، التى هى نقودى أنا .

الابــــــن : إنى ابصق على نقودك . فاهم ؟ إنى راحل .

الأب : كلا . لن ترحل ، لم يحن وقت رحـيلك بعد ! يجب إن تجيـبنى أولا . . يجب أن تـخبـرنى من ذا الذى قال لك إن أمـك إلى جـوارى لاتحيـا . . أو أنها لاتحب أن تحيا . . . وأن حيـاتها هنا فراغ . . وأن الملل يطبق على خناقها . أجـبنى ! إن حياتها مـعى على مايرام . والآن إسألهـا ! ستـجيب عـليك بنـفـسهـا ! أجيبـيـه ، يا مارغـاريتا ! أريد أن أسمع الإجابة ! هل سـترحلين من

جانبى ، كى تذهبى معه؟هل سترحلين أبدا ؟ أجيبى !

الأم : (وقد أسقط فى يدها . ولاترى لنفسها مخرجا) كلا . .

الابـــــن : أيها الدكتاتور المستبد !

الأب : أنت مخطئ . أنا مجرد سيد أمسك بالزمام . وددت أن أعرف الآن من أنت ؟

الابـــــن : كف عن هذه اللعبة الغبية .

الأب : أغلب الظن أنك مجرد واحد من جيل المشاغبين الساخطين . وهؤلاء لايستحقون منا سوى السخرية والازدراء . ها ، ها .

الابـــــن : الزم حدودك . حذار ! (تتدخل الأم بينهما)

الأب : دعك منه يامارغاريتا. أنا لا أخشاه ! لست انت من أخشاه . لستم أنتم من نخشى ! لقد خدعناكم ، وغررنا بكم . ألصقنا بكم صفة البطولة المزيفة ، وانتهينا منكم ! انظر إلى أنا . كنت رجلا من رجال الصناعة ولازلت. وأجزم لك أننى الآن أكسب أضعاف ما كنت أكسبه من قبل، وفى العام القادم، سيصل عدد عمالى إلى ثلاثة آلاف عامل فى المصنع الجديد ، أما أنتم ، فما الذى حققتموه ؟ ما الذى تعتقد أنت أنكم حققتموه ، ضدنا ؟ !

الابـــــن : تعرف جيدا ماذا باستطاعتنا أن نفعل. تعرفون جيدا ماذا باستطاعتنا أن نفعل، وترتعد لهذه المعرفة أوصالكم !

الأب : هذا خطأ ! إننا لانخشاكم أنتم . يامعشر الشباب

الممتلئ بالحماسة ، يا من تتشدقون بالكثير من الكلام الأجوف ،بل نخشى ماردا ضخما لازال لحسن الحظ ، حتى الآن فى سباته غارقا .

الابـــــن : يوما ما ، سوف يصحو ذلك الوحش الكاسر ! وهذا اليوم أيضا ليس ببعيد ، وعندئذ سوف يفتح فاه ويبتلعكم .

الأب : وهل أنتم الذين ستوقظونه ؟ أنتم عاجزون حتى أن تحرروا أنفسكم ، فهل ستحررون تلك الجموع الضخمة؟ أنتم إنما تعملون لحسابنا ! تنتزعون المبادءة من هؤلاء وتسلمونها إلينا !

الابـــــن : حسنا . . سنرى ذلك . . لاشئ انتهى بعد . المعركة مستمرة ! (يحمل حقيبته ، ويهم بالرحيل) .

الأب : أما عن ماريا . (يتمهل الابن مصغيا) الآنسة ماريا ، فأريد أن أقول لك إننى أنا الذى دفعتها إلى أن تصادقك ، بل وأيضا نقدتها أجرا على ذلك . كلفتنى ماريا خمسة آلاف دراخمة .

الابـــــن : يالها من عاهرة !

الأب : أما أنا فما كنت أسميها عاهره قط . . إنها بالنسبة لى عميلة أدت صفقه ، عهدت اليها بمهمه فنفذتها ، وقبضت الثمن .

الابـــــن : تفكير خسيس! طوال حياتك تعودت على الصفقات ، على البيع والشراء ، أن تباع للغير وتشترى !

الأب : هذا قانون السوق . نحن نحيا فى سوق ضخم ! عرض وطلب ! حتى أنتم يمكن أن نشتريكم ونستخدمكم !

الابـــــن : هـذه إملاءات الفاشية القبيحة . (يهم بالانصراف من جديد) .

الأب : ألن تسألنى لماذا أنقدتها أجرا ؟ ألا تريد أن تعرف ؟ بكل سرور ، سوف أخبرك فعلت ذلك ، لأننى لاحظت أنك تتعثر فى علاقتك مع النساء . لديك عقدة نقص منهن مثل كل رفاقك الذين استبدت بهم المثالية المفرطة . ووأدت فى أعماقهم القدرة على التسيد . استأجرتها إذن ، كى تتلاقى معك . لأننى أردت ابنى أن يكون رجلا ، لايخشى النساء ، ولايضعف أمامهن . استخدمتها إذن ودفعت لها أجرا كى توقظ فيك رجوله راعنى أنها أضحت عنك ، مثلما عن ابناء جيلك ، غائبة ! أردت بذلك أن تكون سيدا مطاعا لا سلس القياد مسودا !

الابـــــن : (مزمجرا ، يضرب الأرض بحقيبته تمسك الأم به)
خريستو ! كف عن ذلك ، ياخريستو ! .

الأب : ما الذى أثارك من كلامى وعكر صفو مزاجك ؟ ألم تكن أنت نفسك تقول لى ذات مرة عن أحد رفاقك إنه كان ينعتكم بالعجز وانعدام الفعالية ؟ ألم تقل لى ذلك أنت نفسك ؟ قلت لى أنت ذلك ، ورثيت لك ، دون أن أنبس بكلمة . بئس المثالية المفرطة . إنها تفضى إلى العجز وعدم القدرة على التعامل مع الواقع . وقد

أردت أن أعيدك إلى الواقع الذى أنت منه ، أن أبعث فيك الإحساس بأن تسود وتتسيد . ولكن إلى متى أنفخ فى قربة مقطوعة ؟ إلى متى ؟ تريد أن ترحل ، هيه ؟ ارحل إذن ، ولكنك لن تجد من يدفع من أجلك أجرا لماريا أخرى !

الابـــن : هذه خسة منك ، وقذارة ! اعتدت البيع والشراء ، اعتدت مثل نخاس حتى تجارة الناس والأعراض .

الأب : أخبرتنى ماريا بكل شئ ! ولهذا فقد أجزلت لها الأجر! قالت لى إنك تعانى من كوابيس ومخاوف ! ممتلئ أنت بالعقد النفسية . وتعانى إزاء النساء أزمات من الرهبة الشديدة !

الابـــن : أيها الخسيس ، أنت الذى جعلنى هكذا ! أنت ومجتمعك الذى يتاجر بالأعراض مجتمع مصاصى الدماء . أيها الأوغاد الذين تنهشون البشر !

الأب : بالطبع نحن ! نحرمكم وأنتم صغار من رغباتكم حتى نضمن أن تكونوا فيما بعد طوع بناننا . أجل ، نحن الذين صنعناكم ، ولدينا المقدرة أن نجعل منكم عجينة طيعة . لستم أنتم بأى حال الذين تصنعوننا . بإمكاننا أن نكسركم كأعواد حطب جافة ، وإلى الجحيم نلقى بكم. أنتم أقزام، صغار النفوس، شكلا ومضمونا . يجب أن تفهم ذلك ! وفى لحظة يزعق القزم الضئيل ، وماذا تكون النتيجة ؟ ذات يوم تكونون حزبا واحدا ، ثم تتكاثر أحزابكم . قد تضحون ثلاثين حزباً ، ولكن

مــاذا تكون النتـيجـة ؟ يتـعارك كل طغـمـة منكم مع الأخـرى ، وبينما تبـادون تمضى مـسيـرتنا نحن عبـر التاريخ ، أحرارا، متـحدين ، تسودنا السكينة . نعمل التحطيم فـيكم ، ونهد قواكم ! ومـاذا تظن ، أثمرت هنا وهناك تحركـاتكم ؟ تحقق النصر للأقـزام ، لهؤلاء الصغار ! هيا ، أذن ، إرحل ، اذهب لتجد عزاء لدى هؤلاء الاقزام ضئيلى القدر !

الابـــــن : (وقد رفع شيئا ليضربه به) اخرس !

الأم : خريستو ، أستحلفك بالله ! الرحمة !

الأب : الرحمة ليست لأجل الحمقى ، يامارغاريتا . دعك من طلب الرحمة لمثل هذا الولد العاق ! (إلى الابن) اضربنى إذن ! من ورائى تقف آلاف القـبـضات الحـديدية التى ستكسر ذراعيك ! هاه ! اذهب إلى طغمة الأشرار التى تنتمى إليـها . أحد رجالـى ، كان يتعقـبك ، ويعرف تحركاتك وسكناتك كلها . أعرف ما الذى كان يجعلك تهجر كل طغـمة تنضم إليها . ميل إلى الاستـقلالية ! رغبة فى تأكيد الذات ، تمســك بوجهة نظرتك الخاصة للأمور ، ولكـن على الدوام كانت وجهـة نظرك تلك مجلوبة إليك من آخـر أكثر اقتـدارا منك ، فإذا أفلت منها فإلى وجهه نظر أخـرى مجلوبة بدورها من غيرك ، وهكذا ، وهكذا ، وهكذا ! قـرأت أنا أيضا أوراقك ! كنت آخذها منـك خلسة وأقرأها ، كى أعـرف أحوال عـدوى ! أنت لاتتكلم ، هيـه ؟ هيـا ، ارحل إذن . وكون لنفـسك طغمة خاصـة بك ، أنت أيضا . إرفع

علمك ، واخرج لتخطب عبر مكبرات الصوت فى جماهير الشعب اليونانى اهيه ! . . ولكن الشعب سوف يصرخ فيك « لانريدك . لانعرفك » لأن الجموع ، الملايين ، الآخرين ، الجماهير ، لاتأبه بك ، لاتعرفك . أنت بالنسبة لهم نكرة . الجماهير ملكنا ! سنوات وسنوات ، الآن ، هى لنا. دهورا تلو دهور ، وإلى الأبد ، تتبعنا ! هاه ، هذا الذى تفعله حسن ، ومنذا الذى لايريد أن يخالف ، ويظهر بمظهر المتفرد . خالف تعرف يا أخى ، هكذا يقولون ، ولكن هذه أمور حسنة عندما يكون المرء فى شبابه ، وقبل أن تفجعه الأيام ، وتخيب ظنه فى الناس إذهب ، الآن ، إرحل ، بحقيبة أبيك ، والملابس التى اشتراها لك أبوك ، والتعليم الذى أتاحه لك مجتمع أبيك ، ولغة أبيك ، ونقائص أبيك ، ونقود أبيك ، كى تطبع منشورات ضده . اذهب. وعندما ستجد نفسك بلا قرش واحد ، وتعرف أنك فى هذا المجتمع لا وجود لك بغير المال ، وبغير قرش لاتساوى أكثر من صفر كبير ، إذهب والتحق بعمل فى مصنع، وسوف تذوق حلاوة الفقر ، سوف تعرف ماذا يعنى أن تشقى عشر ساعات وخمس عشرة ساعة فى عمل يمتص وجودك ، ولايترك لك فى النهاية شيئا ، سوف تنسى إذن أحلامك . ولعك تتزوج أيضاعاملة فى مصنع تكدح ليل نهار مثلك . وتنجب أولادا ، وتمضى فى الحياة تنتظر أن يأتى فرج ، لايجئ وتملأ سمعك بالأكاذيب

العامة وأنباء الخيانه والخذلان والجرائم ، ومفاسد البيروقراطية ، وتجاوزات الدولة البوليسية ، وعصابات المرتشين وحثالة القوم ، والعاهرات والقوادين والامعات والمرتزقة . ويظل المكسب على الدوام هو الأساس الذى يقوم عليه السوق . إذهب .. إرحل .. ولكن إذا ما أردت أن تبقى ، فأنا ، أنا أبوك ، أطلب منك الصفح والمعذرة !

(تنفجر الأم فى نوبة من البكاء ، يهجم عليه الابن مهتاجا . ثم لايلبث أن يجرى إلى الغرفة الداخلية . بينما ينهد الأب جالسا)

الأم : (دون أن يبدو على الأب أنه ينوى الذهاب فى أعقاب ابنه) حذار ، ياخريستو . حذار . لاتذهب إليه ! لاتنخرط فى شجار معه . كفى ! اصفح عنه !

الأب : إنى أصفح عنه (يسمع من الداخل ، صوت الباب وهو يغلق بشدة)

الأم : (تقبل يديه) أشكرك ! أشكرك !

الأب : أديت واجبى . مادام لازال بإمكاننا أن نضرب ، فسنضرب ، حتى أولادنا لن يفلتوا من ضرباتنا !

(برهتين . يستدير الأب فجأة ليرى حقيبة ابنه واقعه على الأرض . ثم يذهب نحو الباب الموارب) .

الأم : حذار ! حذار ! لاتذهب إلى الغرفة بالداخل هناك ! اجلس واهدأ سآتى به أنا بنفسى .

(يستدير الأب عائداً . تذهب الأم إلى الداخل . ثم تعود وقد الجم لسانها) .

الأم : خريستو ، إنه رحل ! (تبكى فى صمت) رحل .

الأب : (بعد برهتين ، دون أن يفقد هدوء أعصابه) حسنا ، إذن لازالت المعركة مستمرة !

ستار